ربما سأخبركِ أنّي كنتُ مشغولاً بشراء وتخزين بعض المعلّبات والدقيق، كي لا أعاني الجوعَ مرةً أخرى لثلاثة أيّام متواصلة، بعد أن نفذ الخبزُ والطعامُ في البيت خلال المعارك التي دارت الأسبوع الماضي للسيطرة على القارّة الثامنة في هذا الكوكب: قارّةٍ لا تتعدّى مساحتُها ثلاثمائة وستين كيلومترًا مربّعًا!

كيف كنتُ سأخبركِ أنّ الحياة التي كنا نَحْلم بها راحت تَصْغر حتى اختفى معناها من القاموس اليوميّ المستخدم، هذا القاموس الذي أصبحت الكلماتُ الدالّةُ على الموت فيه تتوالد كالطفيليّات، وأصبحتْ أسبابُ الموت مادّةً للتندّر؟

كيف أخبركِ أنّ الموتَ هنا أصبح أكثرَ البضائع رواجًا، ورفيقًا لنا حتى على أسرّتنا الصباحيّة التي فقدتْ دفئها؟

أتذكرين أيّام كانت هناك مساحاتٌ صغيرةٌ للحلم في حياتنا؟

كيف سأخبركِ أنني فقدتُ قدرتي على ممارسة الحلم وأصبحتُ كالآخرين في مدينتا: ميتًا ينتظر مبرِّرًا ليتنازل عن اسمه ويحملَ رقمًا في سلسلة الأرقام الإحصائيّة في سجلات الميتين رسميًا؟

كيف سأخبركِ أني لا أملكُ ما أقوله لك من دون أن أخجل؟

هذا الصباح كان التجوّلُ في شوارع المدينة ممكنًا بعد أسبوع من الفوضى والقلق والموت للمتُ ما تبقّى من جسدي، ونزلتُ إلى الشارع أتسوّل حياةً عاديّةً أصبحتْ بعيدةَ المنال. بدت الشوارعُ غريبةً لا روح فيها، والمارّةُ يعْبرون الطريقَ كالآلات المبرمجة على أداء أدوارها: غائبين في عوالمهم الداخليّة، تطلّ من عيونهم نظراتٌ لا تشي بشيء.

كان لا بدّ أن أبدو في عيون جيراني على الطاولة المقابلة رجلاً نصفَ مجنون، مثلهم تمامًا، في مدينة العقلاء هذه، مدينةٍ تحترف تقديمَ طبق الموت مجّانًا، وعلى قارعة الطريق

صغيرتي الجميلة، ليس الموت سيّئًا إلى هذا الحدّ فها أنا ذا أكتب لك، وها أنت تقرأين!

غزة، ٢٠١١

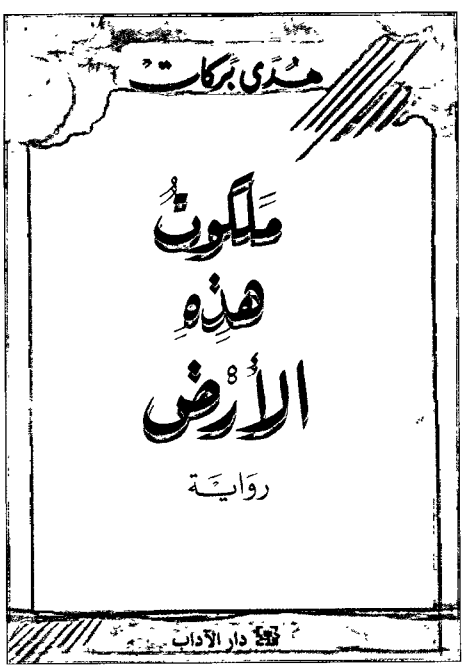

بين الخرافة السحريّة والوقائع المدوّنة بخفّة الحكاية الشعبيّة لتاريخ لبنان، تعيش شخصيّات عائلة «المزوّقيّة» في المرتفعات الشماليّة حيث يتحصّن هؤلاء الموارنة من أعدائهم الكثيرين، وحيث تمرّ الحروب على مدى قرن.

يموت المزوّق الأب برداً على قمم ضهر الجرد الثلجيّة، فيسر ابنه طنّوس بالحكاية، ثم تلتحق به أخته سلمى. بين أديرة الوادي المقدّس وسِيَر البطولات المحلّيّة الآسرة، يختلط حبّ الموطن بغياب الوطن.

في ملكوت هذه الأرض، نقرأ عن أفراح هؤلاء الناس البسيطة وعن شظف عيشهم، عن لهوهم السعيد وأوهامهم الكثيرة، وعن حكايات الأقدار الآيلة إلى الأسى.